الحلقة (٢٢)

اتصال الضمير وانفصاله :

ما الأولى في الضمير أن يكون متصلاً أم يكون منفصلاً؟

الحقيقة أن الضمير يؤتى به للاختصار، لأنه يعبر عن أشياء كثيرة بلفظ موجز، فأيهم أكثر اختصارا الضمير المتصل أما الضمير المنفصل؟ طبعاً الضمير المتصل هو أكثر اختصاراً، وإذا كان الأمر كذلك فما الأصل في الضمير أن يكون متصلاً أو أن يكون منفصلاً ؟ بناء على هذا فالأصل في الضمير أن يكون متصلاً، وبناء على هذه القاعدة فإنه كلما قدرت أن تأتي بالضمير متصلٍ فلا تعدل عن ذلك فتأتي به منفصلاً أبدا، لا يجوز لك كلما استطعت الإتيان بضمير متصلٍ أن تأتي به منفصلاً، **مثال**: (أكرمتُك) أصلها، (أكرم حسن محمد) ثم أضمرت عن كلمة حسن بالتاء الضمير المتصل، وأضمرت عن كلمة محمد بالكاف الضمير المتصل، فإذا قلنا أكرمتك فالكلام صحيح، هل يجوز أن أجعل في مكان الضمير المتصل في هذه الجملة ضميراً منفصلاً ؟ سواء بالنسبة للمتكلم أو للمخاطب، فأقول (أكرم أنا إياك)؟ بناء على هذه القاعدة التي ذكرناها، لا يجوز.

هل ورد في كلام العرب شعراً أو نثراً المجيء بالضمير منفصلا مع أنه يمكن المجيء به متصلاً ؟

الجواب : نعم ولكن بالشعر خاصة، مع أنه لا يجوز أن تأتي بالضمير منفصلا إذا أمكن المجيء به متصلا في غير ضرورة الشعر.

أسمعنا مما ورد فيه الضمير منفصلا مع أنه يمكن المجيء به متصلا قول الشاعر:

وما أصاحبُ من قومٍ فأذكرهُمْ   إلا يزيدهمُ حباً إليَّ هُمُ

نذكر معنى البيت حتى يتضح أين المشكلة، معناه: أنه هذا الشاعر يقول: إن لي قوماً ما أصاحب غيرهم؛ إلا أذكر قومي، لأنه يتبين لي الفرق الكبير بين من أصاحب وبين قومي، لأن قومي تميزوا بميزات كثيرة بمجرد ما أرى طباع الآخرين وأخلاقهم أتذكر قومي وحسن أخلاقهم، هذا كلام الشاعر أين المشكلة؟ المشكلة في قوله "إلا يزيدهم حباً إليّ هُمُ" لو جاء بالضمير، طبعاً الضمير المنفصل هو آخر شيء، كان بإمكانه أن يقول: "إلا يزيدونهم حباً إليَّ"، لكنه لم يفعل ذلك، لو فعل ذلك لنكسر الوزن، فإذن هذا ألجأته إليه الضرورة الشعرية.

أيضا قول الشاعر:

بالباعث الوارث الأموات قد   ضمنت إياهم دهر الدهارير

الشاهد: "قد ضمنت إياهم"، **وتقدير الكلام** "قد ضمنتهم الأرض"، يعنى قد احتوتهم، وإياهم هذا ضمير منفصل، بالإمكان أن يقول ضمنتهم الأرض، لكنه أتى به للضرورة الشعرية، لأنه لو قال ضمنتهم الأرض في دهر الدهارير لانكسر عليه البيت، وهذا دافع له بأن يأتي بضمير منفصل.

إذن إذا أمكن المجيء بالضمير متصلا لا يعدل عن ذلك لابد أن تأتي به متصلا، طيب معنى هذا أن هناك من المواضع ما لا يمكن المجيء به متصلا، يعني لابد أن تأتي به منفصلا، فهل من شيء يدل على ذلك؟ نعم، الأصل في الضمير أن تأتي به متصلا، لكن في بعض الأحيان لا يمكن، ألم نقل في تعريف المتصل أنه لا يمكن أن يبتدأ به، فإذا كنت تريد أن تبدأ الكلام بضمير، فأنت مضطر لأن تأتي بهذا الضمير منفصلا، إذا أردت أن تأتي بالضمير بعد إلا فلابد أن يكون منفصلا،

أيضا لأنه لا يجوز أن تأتي به متصلا.

فهناك مواضع يجب أن تأتي بضمير منفصل فتعدل عن المجيء بمتصل لأنه لا يمكن أن تأتي به متصلا من هذه المواضع:

١.أن يتقدم الضمير على عامله: يستشهدون له بقول الله تعالى {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} أصل الكلام نعبدك لأن المعمول حقه أن يتأخر عن العامل، لكن المعمول هنا تقدم على العامل، طبعاً لغرض، وغرض تقديم العامل في هذه الآية الكريمة هو إفادة الحصر، "إياك" يعني لا نعبد غيرك، إفادة القصر أو الحصر، فتقدم الضمير هنا على عامله، ولو قال:" نعبدك ونستعينك " فلا إشكال، لكن تقدم الضمير هنا فوجب أن يأتي به منفصلاَ، لم ؟ لأنه أراد الحصر ولا يمكن الحصر إلا بطرائق أربعة طبعاً، هذه إحداها، وهي أن يتقدم ما حقه التأخير.

أيضاً من الأشياء التي تفيد الحصر -هذا استطراد- أن تجعل في الكلام "ما" و "إلا" ومنه قول الله سبحانه وتعالى {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ} منها أيضاً أن تأتي بالمحصور محصوراً "بإنما" وإنما تفيد معنى (ما) و (إلا) فتقول: إنما المجتهد محمدُ، قال الله سبحانه وتعالى {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}، هذه طريقة، صار عندنا كم طريقة ثلاث طرائق الآن، الطريقة الرابعة "تعريف الطرفين": يعني أن يؤتى بالمبتدأ والخبر معرفتين، فتقول : "المجتهد أنت" يعني وحدك، فحينئذٍ هذا يفيد الحصر، نحن خرجنا عن موضوعنا، لكن نعود، لكن هذه فائدة أتيت بها.

لكن نقول أن من المواضع التي يجب أن يأتي فيها بالضمير منفصلاً هي:

١/ أن يتقدم الضمير على عامله: كقوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}

٢/ أن يقع الضمير بعد كلمة "إلا"، أن يقع الضمير محصوراً بـ"إلا"، وحينئذ لا يجوز أن تأتي بالضمير متصلاً، فيجب أن تأتي به منفصلاً، ومنه قوله سبحانه وتعالى:{ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ}، وقوله تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} فالمحصور هنا جاء بعد "إلا"، فوجب أن يأتي به منفصلا.

٣/ إذا جاء الضمير محصورا بـ"إنما" فيجب أن يأتي به منفصلاً، ولا يجوز أن يأتي به متصلاً، ومنه قول الشاعر الفرزدق:

أنا الذائد الحامي الذمار وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي

الشاهد : في قوله أنا هنا، فإنها ضمير رفع منفصل، وقد أتى به منفصلاً، ولا يجوز المجيء به متصلا، يعني لا يمكن أن يقول وإنما يدافع عن أحسابهم ياء يعني هو المتكلم، لا يمكن فأتى بالضمير هنا منفصلاً وجوبا.

٤ / وقوعه بعد كلمه إن، أيضا من مواضع وجوب وقوع الضمير منفصلا، وذلك يقولون في مثل هذه الحالة إن شرطية، والضمير حينها إذا كان ضميراً فقط لم يؤتى بعامله معه، فحذف عامله بعد إن، وجب المجيء بالضمير منفصلاً، ومثله قول الشاعر: فإن أنت لم ينفعك علمك فانتسب.

فالشاهد : عندنا أن عامل هذا الضمير وقع بعد إن فحذف، فوجب أن يأتي بالضمير منفصلا.

فلا يجوز أن تقول (فإن ك) مثلاً، ما يجوز أن تأتي بالضمير هنا منفصلا.

٥/ أن يقع بعد ما يعني معمولاً لما اسم (لما)، أيضا من مواضع وجوب وقوع الضمير منفصلا، هذا إذا كانت (ما) حجازية لأن (ما) عند الحجازيين عاملة، قال الله سبحانه وتعالى {وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا}، المهم عند الحجازيين تعمل عمل ليس، وعند التميميين لا تعمل شيئا، "فما" في قوله تعالى {مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ} ولا يجوز المجيء بالضمير هنا متصلاً لوقعه بعد ما، ووقوعه معمولاً لـ "ما".

٦/ إذا وقع بعد عاطف: أيضا من مواضع وجوب وقوع الضمير منفصلا، ومنه قوله تعالى {يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ} فإنه في هذه الحالة لابد أن يؤتى به منفصلا، ولا يجوز أن تقول مثلاً -في غير القرآن الكريم طبعاً، أما في القرآن فالكلام صحيح

فصيح لا إشكال فيه لكن في غير القرآن ما يجوز- يخرجون الرسول وكم، فلابد أن تأتي به منفصلا، وحينئذ نقول إن من مواضع المجيء بالضمير منفصلاً أن يقع بعد عاطف، نحو قوله تعالى {يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ}.

٧ / أن يقع بعد إمَّا: أيضا من مواضع وجوب وقوع الضمير منفصلا، فتقول (المجتهد إمَّا أنا وإمَّا أنت)، فحينئذ لابد أن يؤتى بالضمير منفصلا.

٨ /إذا وقع مبتدأ: أيضا من مواضع وجوب وقوع الضمير منفصلا، إذا أعربته مبتدأ، فإنه كما ذكرنا فيما مضى أنه لا يجوز أن يبتدأ بالضمير المتصل، فحينئذٍ يجب أن تقول أنا موجودٌ، وأنت مجتهدٌ، وهو غائبٌ، هذه لا يجوز أن تقع في مواقع هذا الضمير المتصل إطلاقاً وبإجماع النحويين.

٩ / أن يقع منادى، **سؤال**: هل يجوز نداء الضمير؟ **الجواب**: بعضهم يجيزوه مطلقاً، وبعضهم يخصه بالشعر، فبعضهم لا يجيز أن تقول يا أنت ولا يا أنا ولا يا هو، لا يجيز إلا في الشعر،

ومنه قول الشاعر: يا أبجر بن أبجر يا أنت، أنت   الذي طلقت عام جُعت.

هذا بالنسبة للضمير المنفصل متى يجب المجيء به، وإلا فالأصل أن يكون الضمير متصلاً، حق الضمير أن يؤتى به متصلا، ولا يجوز المجيء به منفصلاً إلا في مسائل سنذكرها إن شاء الله فيما بعد، إذ يجوز فيها الوجهان، لكنه يجب في بعض الأحيان أن يتحول هذا الضمير من كونه متصلاً إلى كونه منفصلاً، وبخاصة إذا وقع في بداية الكلام، سواءً تقدم على عامله، أو أعرب مبتدأ، أو وقع بعد إن وحذف عامله، أو وقع بعد ما الحجازية أو التميمية حتى، لأنه سيعرب إما اسماً لـ"ما" وإما مبتدأً، لأنه إذا كنت أعملت "ما" عمل ليس فستجعله اسماً لها، وإن كنت جعلتها مهملة فستجعله مبتدأ، إذاً هذه بعض المواضع التي يجب فيها المجيء بالضمير منفصلاً ولا يجوز المجيء به متصلاً.

طيب هذا هو الأصل أن يكون الضمير متصلا ولا يعدل عن اتصاله **إلا في المواضع التي ذكرناها ومنها:**

أن يتقدم على عامله	أن يقع بعد إلا	أن يكون محصوراً بإنما
أن يقع بعد إنْ	أن يقع بعد ما	أن يكون بعد عاطف (بعد حرف عطف)
أن يقع بعد إمّا	أن يعرب مبتدأ	أن يكون يقع منادى

وهذه هي المواضع التي يجب أن يأتي بالضمير منفصلا، أما ما عدها فإنه لابد أن تأتي به متصلاً، **لكنه قد** استثني من هذه القاعدة أمران، أعيد القاعدة ثم أذكر المستثنى منها .

القاعدة: أنه متى أمكن المجيء بالضمير متصلاً لم يعدل إلى انفصاله، فلا يأتي به منفصلاً، ويستثنى من هذه القاعدة **مسألتان:**

المسألة الأولى: أن يكون عامل الضمير عامل في ضميرين، أول هذين الضميرين أعرف من الثاني، وليس مرفوعا، هذا يتوجب علينا معرفة الضمائر من حيث التعريف، لأننا نقول أن يكون أولهما أعرف من الثاني، فما أعرف الضمائر،

الضمائر ثلاثة أقسام:

إما للمتكلم   وإما للمخاطب   وإما للغائب

المتكلم : أعرف الضمائر، ويليه في التعريف **المخاطب** لأنه مشاهد أمامك، ثم يليهما في التعريف **الغائب**، فلابد أن يكون الترتيب حتى يجوز لك أن تأتي به متصلاً أو تأتى به منفصلاً أن يكون ترتيب هذين الضميرين على هذا التعريف، بحيث يكون المتكلم قبل المخاطب، أو المخاطب قبل الغائب، أو المتكلم قبل الغائب، يعني المتكلم في البداية، ما يسبقه المخاطب، بل لا يكون الضميرين أيضاً للمتكلم، أو الضميران لا يكونان للمخاطب، أو لا يكونان أيضاً للغائب، فلابد أن يكون

واحد منهما أعرف من الآخر، مرة ثانية أن يكون الضمير عاملاً في ضمير آخر، عامل الضمير هذا الذي يجوز لك أن تجعله متصلا أو أن تجعله منفصلا عاملاً في ضمير آخر، فالضمير الآخر أعرف من هذا الذي يجوز لك فيه الوجهان، أيضاً لا يجوز أن يكون الضمير المتقدم في محل رفع، بل يجب أن يكون في إما في محل نصب أو في محل جر وسأذكر الأمثلة إن شاء الله تعالى.

إذا قلت (أكرمتك) أكرم هذا فعل قد عمل في ضميرين هما التاء والكاف، هل يجوز أن تقول : "أكرمت إياك"؟

طبعاً: لا يجوز، ألم تقل أنه إذا كان الضمير المتقدم أعرف من الضمير الثاني فإنه يجوز في الضمير الثاني أن أقول أكرمتك وأكرمت إياك مثلاً؟ (قلت) لكنني اشترطت ألا يكون الضمير الأول مرفوعاً، والتاء هنا في محل رفع لأنها فاعل، فأكرمتك لا يجوز فيه إلا أن يأتي الضميران متصلين.

طيب قال الله سبحانه وتعالى: {فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ} هذا العامل أحيانا يكون فعلا غير ناسخ، وأحيانا يكون فعلاً ناسخاً، فإن كان العامل فعلاً غير ناسخ، وعندك اجتمع ضميران أولهما أعرف وأولهما ليس في محل رفع، بل في محل نصب أو محل جر، فإنه يجوز لك في الضمير الثاني أن تأتي به متصلاً، ويجوز لك أن تأتي به منفصلا، فلو كان في غير القرآن لجاز أن تقول (فسيكفك إياهم الله) ولا إشكال فيه، لكن في القرآن الكريم وهو الأفضل طبعاً، لم يرد في القرآن الكريم إلا الضمير جاء متصلاً.

يعني إذا كان العامل فعلاً غير ناسخ، واجتمع عندنا ضميران، أولهما أعرف من الثاني، وأولهما ليس مرفوعاً، جاز لنا في الضمير الثاني أن نأتي به متصلاً أو نأتي به منفصلاً، ما الأحسن؟ الأحسن أن نأتي به متصلاً، ما الحاصل في القرآن الكريم؟ الحاصل هو الأحسن، ذلك أنه لم يرد في القرآن الكريم إلا متصلاً، نطبق على هذه الآية نفسها قال الله سبحانه وتعالى {فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ}"يكفي" هذا فعل مضارع وليس من الأفعال الناسخة (من ظن وأخواتها يعني)، فسيكفيك هذا هو الضمير الأول، هم هذا هو الضمير الثاني، الضمير الأول للمخاطب، والضمير الثاني للغائب، أيهما أعرف طبعاً المخاطب أعرف من الغائب، طيب الضمير الأول ما موقعه من الإعراب؟ موقعه مفعول به، إذن ليس مرفوعاً، نعم ليس مرفوعاً، إذن يجوز فيه الوجهان، نعم يجوز في الضمير الثاني الوجهان، فيجوز أن تقول في غير القرآن {فَسَيَكْفِيكَهُمُ } و(فسيكفيك إياهم)، قال سبحانه وتعالى {إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا } {إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا } أين العامل؟ يسأل ما نوعه فعل ناسخ أو غير ناسخ ؟ ليس بناسخ، الضميران أين هما؟ "الكاف" في يسألك و"الهاء" (يَسْأَلْكُمُوهَا) أيهما أعرف الضمير الأول؟ الضمير الأول لأنه مخاطب والثاني غائب، ما موقعه من الأعراب ؟ في محل نصب، إذن اجتمعت الشروط نعم لو كان في غير القرآن يجوز أن نقول (إن يسألكم إياها) **الجواب**: نعم، قال الله تعالى: {أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ} أين الفعل يلزم أين الضميران الكاف والهاء أيهما أعرف ؟ الكاف، ما موقع الكاف من الإعراب ؟ موقعها النصب، يعني ليس في محل رفع؟ نعم، إذن اشتمل على الشروط كلها، نعم، يجوز في غير القرآن أن تقول {أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ}، نعم، وكذلك (أنلزمكم إياها وأنتم لها كارهون) نعم يجوز، وعلى هذا إذا اجتمعت كل هذه الشروط جاز في الضمير الثاني أن تأتي به متصلاً أو تأتي به منفصلاً.